مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب
Issn:2572-0058/E-issn:1969-2676
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/485

المجلد: 05 العدد:02- جوان 2021 ص 217 /249

# شعرية الخطاب وجمالية الصورة في ديوان "مايراه القلب الحافي في زمن الأحذية" لعياش يحياوي

# What the barefoot heart "Poetic discourse and aesthetic image in a divan For Ayyash Yahyawi "sees in the time of shoes

د. العربي عبد القادر *
جامعة المسيلة ( الجزائر)
Kaderla14@gmail.com

| الملخص: | معلومات المقال |
|---|---|
| الشعر في الحياة كالذهب في الأرض قليل ونادر ولو لم يكن كذلك لكان كل من نظموا الكلام شعراء ، وكثير هُم في هذا العصر أولئك الذين يركضون وراء سراب يسمونه شعرا ، والقليل من هؤلاء الراكضين فقط هم الذين يأتي إليهم الشعر كأصفى وأعذب ما يكون ، ومن هؤلاء الشاعر والمبدع المتميز " عياش يحياوي " ، هذا الصوت القادم من إحدى مدننا الداخلية ؛ صوت قوي مفعم بالحيوية والنشاط ، له قدرة على سبك الكلمات ، هو أحد المبدعين الذين شكلوا مشهدنا الشعري وطنيا وعربيا ، وفي ديوانه " مايراه القلب الحافي في زمن | تاريخ الارسال: 2021/04/25<br>تاريخ القبول: 2021/05/20<br><br>**الكلمات المفتاحية:**<br>✓ الشعر<br>✓ يحياوي<br>✓ الذهب<br>✓ الصوت القادم |

* المؤلف المرسل.

| | |
|---|---|
| ✓ القلب | الاحذية " عينة من جماليات شعره . |


Article info

Received 25/04/2021

Accepted 20/05/2021

Keywords:

- ✓ poetry
- ✓ meaning
- ✓ casual
- ✓ simple



*Abstract :*

*In life poetry is rare to spot on , albeit many try to apply many ways to make it in a casual manner but it cannot count as such when it is so simple as well as far from what we can call " poetry " , and only among few can grasp its true meaning , one of those is " Ayach Yahyaoui "*


## 1. مقدمة :

الشعر في الحياة كالذهب في الأرض قليل ونادر ولو لم يكن كذلك لكان كل من نظموا الكلام شعراء ، وكثير هُم في هذا العصر أولئك الذين يركضون وراء سراب يسمونه شعرا ، والقليل من هؤلاء الراكضين فقط هم الذين يأتي إلهم الشعر كأصفى وأعذب ما يكون ، ومن هؤلاء الشاعر والمبدع المتميز"عياش يحياوي " هذا الصوت الصيداح الخارج من رمال الصحراء وذكرياتها البعيدة، قويا ومفعما بجسارة القول وحسن اختيار الكلمة ، هو أحد المبدعين القلائل الذين شكلوا مشهدنا الشعري الجزائري والعربي ، ومن الذين يكتبون شعرا حقيقيا ولا يفتؤون بالبحث في تراب اللغة عن ذهب يصلح لكتابة القصيدة كما ينبغي أن تكون بغض النظر عن نسق تركيبها أو هوية شكلها ، فالمُطّلعُ على إبداعه ونتاجه الشعري يشعر من أول وهلة بأنه إزاء شاعر يكتب الشعر بقدر من العفوية المدهشة وينسجه خيطا خيطا وصورة صورة، وأنه لا يسبح على سطح بحر اللغة كما يفعل شعراء كثيرون وإنما ينغمس في الواقع

بكل أحواله وأهواله ، ويسعى إلى تقديمه في تكوينات تعبيرية طازجة تجمع بين التلقائية والتعمق في إنتاج المدهش والمغاير من المعاني الحية النابضة ، تلك التي لم تكن أبدا ملقاة على الطريق بل مما تتوق إليه نفس الشاعر وتبذل المستحيل لكي تصل إليه مهما كلفها ذلك من جهد وعناء، فإبداع عياش يحياوي فيه من الشعرية والخطاب ما لا يحصى ولا يعد فكيف استطاع في نتاجه الغزير أن يأسر المتلقي بأسلوبه وقوة شاعريته ، وما المقصود بهذين المصطلحين وما مدى التزامه بهما في تجربته الإبداعية ؟

**2. الشعرية :**

استخدم أرسطو " 322 – 384 ق، م " لفظة شعرية إذ وضعها عنوانا لكتابه " بويطيقا " أو فن الشعر ولكن مصطلح " الشعرية الحديثة " تحدد بفضل جهود الشكلانيين الروس ، الذين أكدوا على ضرورة العناية بأدبية الأدب ، وقد أدى " رومان جاكبسون " دورا هاما حين حدد وظائف اللغة وأكد على الوظيفة الشعرية التي تهيمن على بقية الوظائف في النتاج الأدبي والشعر على وجه الخصوص " (جاكبسون، 1988، صفحة 27)

"إنّ شعرية النص هي أبرز خصائصه وهي التي تميز الفن الأدبي عن غيره ، ولا تكتفي الشعرية بما هو حاضر وظاهر في النص ، بل تتجاوزه إلى ماهو ضمني وخفي" (الغذامي، د.ت، صفحة 27)

فالشعرية تتجاوز اللغة إلى مجمل نظرية الإشارات ؛ أي علم السيميولوجيا وعليه فالشعرية تتجاوز وتتعدى الأدبية ، التي تقول بها المدرسة الشكلانية وتتجاوز الأسلوبية ، لتعالج قضايا لغة النص وقضايا القراءة وأثر النص ، " الشعرية إذا هي جوهر الشعر والنثر وخاصيتهما المميزة وبالوقت ذاته هي المعرفة الشاملة بالمبادئ العامة للشعر باعتباره نموذج الأدب ، وبذلك فإنها تستنبط من الأدب وتتجاوزه لتؤسس للنصوص المقبلة أو المحتملة ، فهي تدرس الأعمال الواقعية والمفترضة ، على حد قول " تودوروف " فالشعرية تقوم ببلورة الوسائل التقنية

الكفيلة بتحليل الآثار الأدبية التي تحمل إمكانية تناسل لا نهائي من النصوص (ثامر، 1994، صفحة 75)

إنّ الشعرية ظاهرة فنية في النصوص ومنهج لمعالجتها وبذلك فهي واسعة المنافذ متعددة الدلالات، مما يجعل عملنا جزءا من الشعرية مستفيدين على الخصوص من بعض العناصر التي أوردها تودوروف حول الشعرية.

3. **الخطاب:**

أما مصطلح الخطاب فهو ترجمة للكلمة الأجنبية " discours الذي يتداخل مع النص texte مما حد ا بمحرري المعجم الموسوعي للسيميائية إلى معالجة المصطلحين في فقرة مشتركة، " ويفرق بعضهم بين الخطاب والنص، بجعل الخطاب يرتبط بالمظهر الشفوي في حين يرتبط النص بالمظهر الكتابي، ويقدم " فان دايك " تمييزا أكثر تحديدا فهو ينظر إلى النص على أنه بنية تجريدية عميقة، أما الخطاب فيجسد وحدة لسانية تتحقق في ملفوظ لغوي ". (البحراوي، 1996، صفحة 80) .

فالخطاب تجسيد للنص إنه بالنسبة للنص كالكلام بالنسبة للغة في مفهوم " دوسيسر" للغة والكلام، يتبين لنا إذا أنّ من النصوص يحمل طابعا حسيا واقعيا. قديما قال ابن وهب " إلى أنّ الشاعر لا يكون شاعرا حتى يشعر بما لا يشعر به غيره ". (ابو الحسن اسحاق بن وهب، د.ت، صفحة 58)

ففهم الشاعر للوجود والكون والحياة وإدراكه للعلاقة الجدلية بين الإنسان والكون والحياة، هو العامل الأساسي الذي يبين ما إذا كان هذا الشاعر فاهما لدوره في الحياة أم لا ، فإن فهمنا الرؤية الشعرية لدى الشاعر " عياش يحياوي " فإننا سنفهم كل مايتصل بالنص الشعري من أدوات ووسائل استخدامها للتمكين لتلك الرؤية ، يقول تدوروف " الوقائع التي يتألف منها العالم المتخيل لا تقدم لنا أبدا في ذاتها بل من منظور معين وانطلاقا من وجهة نظر معينة ، وهذه الألفاظ البصرية استعارية أو بالأحرى مجازية فالرؤية تحل هنا محل الإدراك

برمته ولكنها استعارة ملائمة، لأنّ للخصائص المتنوعة للرؤية " الحقيقية " كلها مايعادلها في ظاهرة التخيل . (تودورف، 2000، صفحة 50)

إنّ فهم الرؤية ضروري لفهم النص وإدراك مدلولاته وأبعادها الحقيقية ووجهته وحيويته، وبعبارة أوضح نقول إنّ العقائد والتصورات لها قوة التأثير على الأدوات الفنية، من حيث هي وسائل تختار لتشكيل العملية الإبداعية ومن ثم يكون فهم القارئ لعقيدة المبدع ووعيه لطبيعة إدراكه للكون والحياة ، بمثابة مفتاح أساسي للدخول إلى العالم المتخيل للشاعر ، فعياش يحياوي من طينة حرة طاهرة تكره الفساد وتتبرم من حياة المفسدين ، فهو يثور على الظلم وكل ألوان الاستعباد، بما في ذلك أصحاب الجاه والسلطان والمال، فهو حين يعبّر عن هذه الثورة النفسية يكون أوضح من الضحى وأبين من البيان و أسطع من الشمس ، وإذا تأملنا قصيدته الخالدة "الشاعر والناس" والتي يقول فيها :

رأيتــه مســافرا في الصـحو والغمــام

يحمــل في أعماقــه الضــياع والوئــام

ســألت عــن أخبــاره فقيـل لي : خصـام

محتــدم في صــدره مشــتعل الضــرام

مــابين دنيــا عاشــها وقلبــه الهمــام

ســألتهم عــن اســمه فقيـل لي : حــرام

لا تقترب ذا شــاعر يعــيش في الظــلام

رأيتــه فــي بهجــة النســيم والربيــع

خلـف الفـراش راكضـا وحلمـه الوديـع

مرفرفـــا مغـــردا بشـــعره البـــديع

يطـرد مـن فـؤاده الأحـزان والـدموع

يذوب في حب الحياة .. يخشى أن تضيع
سـألتهم عـن اسـمه فقيـل لي : حـرام

لا تقتـرب ذا شـاعر يعـيش في الظـلام

رأيتــه فــي نشــوة يعــانق الــورود

تسـكره عبر الحيـاة خمـرة الوجـود

في قلبـه ينمـو الضـياء الحـر والسـعود

فــي لهفــة يهتــف ياصــباح يــانجود

ياعالمـــا أحبـــه رحبـــا بـــلا حـــدود

سـألتهم عـن اسـمه فقيـل لي : حـرام

لا تقترب ذا شاعر يعيش في الظلام.  (يحياوي، 1982، صفحة 113)

هذه قصة شعرية تصور حال الشاعر مع قومه وكيف عاملوه بازدراء وعدم اكتراث وكأني به صار شبحا يعكر صفو حياتهم ويعكر دلاءهم ، فالشاعر إنسان حساس بل مرهف الإحساس لا يرضى لذاته الكريمة الدنية من أي شخص كان ، وهو دليل القوم إذا ادلهمت الخطوب فهو المنافح والمدافع عن قضايا أمته وهو جدار الصد الأول الذي يتلقى الضربات ، قديما كانت العرب تبتهج لمقدم ولادة شاعر لتتباهى به أمام باقي البطون الأخرى وتحتفي به نظير ما يقدمه من خدمات لها مستقبلا فهو ناطقها الرسمي ومحاميها في الملمات ، فقد بنيت تجربة عياش يحياوي على تقنية فنية هي الدراما، وعلى تقنية نفسية بلاغية هي مبدأ السببية ومبدأ السببية المحض يحيلنا على الخطاب النفعي كما يقول تودوروف ، والخطاب النفعي من شأنه أن ينطلق من الرؤيا الناضجة في الغالب ، التي تعين القارئ على استهجان القبح ، والتمسك بالطهارة التي لا تخدش كرامة القارئ والمتلقي عموما، وإنما ترفعه ليسمو على الرذيلة بما تحمله القصة من واقعة مقنعة ، ترى فيها الأشياء والناس والأفعال كما ينبغي أن ترى ، هكذا عارية تمجها النفس وتشمئز من رؤيتها العين، لما يترتب عليها من مآسي وضياع وتيه يجر الإنسانية إلى الأمواج المتلاطمة لتبتلعها ابتلاعا ، فهذه القصة الشعرية الرائعة كانت نتيجة طبيعية للوعي الروحي الطاهر ، لذلك تجد نفسك وأنت تطالعها تسمو بروحك نحو الفضيلة وترى خيالك يهيم بالعفة ويتشوق لرؤيتها وتبرم كبير من نمط من أنماط الحياة العفنة التي يعيشها سفلة الناس ، الذين فسدت أذواقهم وتحطمت أخلاقهم وذابت شخصياتهم، وماتت ضمائرهم " كلاّ بل ران على قلوبهم ماكانوا يكسبون " ففسد بذلك إطارهم المرجعي، واستوى عندهم الجميل والقبيح ، واختلطت عليهم الأمور بل اختلطت عندهم موازين الحياة. فتراهم يجادلون في ذلك بحماسة شديدة ليبرروا أخطاءهم ، فأنت ترى الأديب منهم لا يرى جمال الفن إلا في الصور التي تجعل القبيح جميلا ، وترى الأدب الذي ينشئونه عالقا بأهداب الرذيلة لا يبرحها، ومتشبثا بالمناكر لا يغادرها ولا يهمهم أمر المبدع من قريب أو بعيد فديدنهم الماديات

ومتاع الدنيا الساقط أما أن يقيم الإحتفائيات بالمبدعين والموهوبين فذلك شأن آخر ولن تقوم قائمة لشعب لا يقدّر مبدعيه ومثقفيه ، ماسخا لرجال التاريخ الذين صنعوا مجد الأوطان وكتبوا تاريخ الحضارة الإنسانية بجلال وبهاء ووضوح ، ناهيا عن المعروف منفرا منه ، وداعيا للمنكر مزينا إياه ، فقصيدة عياش يحياوي تمثل النموذج الأخلاقي الراقي الذي يركز على بناء الشخصية المتزنة ويدعو غيره للتمسك بفضائل الأخلاق ، وهو يوجه أبناء وطنه لمكارم الفضائل وتكريم الرجال الشرفاء وخاصة النافعين لأمتهم، فقد دعا للتشبث بكل ماهو إيجابي خدمة للوطن والأمة، ولكن القوم عندنا أرادوا تحريف مبادئ الثورة المجيدة وإغراقها في الماديات والتفاهات حتى يذيبوا أصالة الشعب الجزائري ويُميّعُون رجولته وفُحولته التي كسبها مدى الأيام والزمن الجميل ، فشاعرنا عياش يحياوي استطاع برؤيته البعيدة ووعيه الروحي أن يُعبّر عن آمال شعبه بصور بليغة في أبيات قليلة ولكنها هادفة ، فشعره بعث الحياة في موات الخائنين والمنحرفين والمقلدين، ودعا أفراد شعبه للهمّة العالية والاستعداد للمعركة الكبرى وهي بناء الذات وتطوير فكر الفرد الجزائري ، أليس هو القائل :

رأيتـه في بسـمة الأطفـال والزهـر

الـورد مـن أشـعاره وحبـه سـكر

والغيـد والشـبيبة الزهـراء والسـمر

والله مـن عينيـه لـمّ النـور للقمـر

وفي مـداه تُزهـر الأمطـار والفكـر

سـألتهم عـن اسـمه فقيـل لي حـرام

ذ
لا تقترب ذا شاعر يعيش في الظلام
رأيتـه يـركض في مسـالك الحيـاء

في مقلتيه صبوة والحب في مداه
النـور في جبهتـه والمجـد في هـواه

يصادق الأعشاب والأطفال والمياه
كبيـــرة همومـــه كأنـــه إلـــه

سألتهم عن اسمه فقيل لي حرام

لا تقترب ذا شاعر يعيش في الظلام

لقد عبّر الشاعر الفحل عياش يحياوي عن مآزق الفرد والحياة والإنسانية في هذه الأبيات وواكب أحداث أمته الجزائرية والعربية ، ونبه إلى قضاياها الكبرى التي ينبغي أن تنتبه لها وتشُدّ يد الزناد عليها وأولها وحدة الصف داخليا وخارجيا ، لقد جاد فكره ومشاعر قلبه بأدق الأحاسيس وأصدقها قولا وروحا، فالشعر واحد من عناصر تعريف الإنسان بذاته الأبية بغض النظر عن عرقه أو جنسه أو مذهبه العقائدي والفكري ، فالعرب وضعوا الثقافة الشعرية والشعر فوق كثير من تجليات المعرفة الأخرى، فقد عشقوا بالشعر وحاربوا به وخاضوا معارك طاحنة ضد أعدائهم ومازال هذا الإبداع ينبض حماسة وتوهجا تستقي منه الأمة ماضيها وحاضرها ومستقبلها ، فعياش يحياوي يرى بأنّ للشعر والشاعر وظائف شتى ينبغي أن تؤدى للمجتمع خدمة للصالح العام فالشعر يحمل قضايا الأمة ويفعلها ويجعلها حركية ومستمرة في الإبداع يوما بعد آخر ، فالشعر هو القضية والهدف وليس مجرد وسيلة جميلة لبلوغ أي هدف

في هذه الحياة، فجمالية الشعر تحميه من كل افتراضات مسبقة وعليه فلا ينبغي أن نضع شروطا مسبقة للشاعر حتى ينظم قصيدته ويبوح لنا بمكنوناته وبوحه المتواصل ، فالشاعر في الحياة يكتب بناء على خبرات سابقة وماض تليد لأمة كانت مزدهرة وستعود لسابق عهدها إن وجدت الإخلاص وصدق النوايا من أفرادها، فهو يتمثل الشعر في ابتسامات الصغار و اليافعين وفي تفتح الأزهار والرياحين ، وكأني به يريد أن يقول لنا بأن الشعر هو حاضن الجميع وملتقى الكل، فلا يمكننا حرمان الشاعر من إبداع قصيدة عصماء تهز الخاملين والمثبطين وتدعو إلى المجد والسؤدد ، لقد حاكى إبداع عياش يحياوي القضايا الهامة والمصيرية للأمة، وعالج كثيرا منها ليُغيّر أبناء المجتمع من حالهم المُزري إلى أحسن حال ولينهضوا من كبوتهم إلى صحوتهم الحضارية ونهضتهم العالمية ، فقد اجتهد شاعرنا في ترسيخ القيم النبيلة والفاضلة التي ينبغي أن يتحلى بها أفراد مجتمعنا وعلينا نبذ العبثية في كل شيئ ونُقوّم سلوكاتنا لنرتقي إلى مصاف الدول المتحضرة علما وأخلاقا وبناء، فشعر يحياوي خلاصة تجربة في الحياة بحلوها ومُرّها لأنه يسعى دائما لتقديم النصح والتوجيه خدمة للصالح العام ، فالشعر بالنسبة لعياش يحياوي صوت القلب ولسان العاطفة وترجمان خلجات الوجدان ، وإنما الشاعر طائر يحلق في كل جو ورسّام حاذق تعبّرُ ريشته من خلال أحاسيسه فترقص مع الفرح وتبكي مع الحزن ، فينعكس هذا التأثير على المجتمع خاصة إذا اعتمد الشاعر المعنى الرفيع من خلال حسّه المُرهف وسبكه في صيغته المناسبة ، وبذلك يدخل إلى قلب السامع ويُؤثّر فيه تأثيرا يكاد يرقى به في كثير من الأحيان إلى مستوى مشاعر الشاعر وأحاسيسه، فميدان الشعر واسع في هذا المجال فكم أضرمت الحرب أبياتا من الشعر وكم بسطت أُكفّا لم تتعود العطاء ، وكم أدمت المآقي التي قلّما تبكيها الأحزان ، كم حملتنا أبيات من الشعر على أجنحة الخيال وكم هزّت النفوس وأيقظت الوجدان وخلجات النفوس المرهفة. إنّ أبيات القصيدة سامية تعانقت فيها الأداة الفنية مع الفكرة والتجربة النفسية تعانقا عجيبا، فسارت معا جنبا إلى جنب فالقصيدة تتطور بين يدي المتلقي شيئا فشيئا حتى تبلغ النهاية، دون أن تخرج الأداة إلى ما يجرح المتلقي أو تجنح الفكرة إلى

مايناقض الوعي الروحي للشاعر، فأنت ترى الصورة الشعرية تُشاكل مضمونها ، وأنت ترى الصورة تُعاضد الصورة وتُكمّلها والكلمة تُعضدُ الكلمة وتُقوّيها ، والجرس الموسيقي يسند الجرس الموسيقي ليحدثا تناغما يحقق في النفس المقصد الفني، ويهيئها لاعتقاد الفكرة المطروحة والإقناع بها. فالشاعر إذ يُضمّنُ القصيدة هذه الصورة إنما يكون مُوظّفا للقيم الإنسانية خير توظيف يوحي به الإيمان الذي يضئ صدره وذاته. فنشعر حين قراءة القصيدة بهذا الترابط بين الفكرة التي يرمي إليها الشاعر، والمقصد الأخلاقي الذي يسعى جاهدا ترسيخه في ذهن المتلقي ليتدارك الموقف ، فتنوعت وسائل التعبير الفني لدى المبدع ليشرح لنا نتائج تفشّي الظواهر السلبية في المجتمع وآثارها الوخيمة على الأجيال ، لقد برع الشاعر في تصوير المشهد بكل احترافية بلاغية وفنية ما يؤكد لنا قدرة المبدع على تنوع رصيده المعرفي وقوة زاده الأدبي ، لقد نقل إلينا ذلك التصور من عالم الفساد الأخلاقي والنظرة التشاؤمية إلى قمة التحضر والجمالية الإنسانية. فقد انتقل بنا تدريجيا من تلك الصورة السلبية التي كان عليها بعض البشر، إلى صورة أكثر إيجابية ناصعة لا تشوبها شائبة فهي دُرّة تحتاج لمن يُحافظ عليها ، لكن خبرة الشاعر في دروب الحياة المتشعبة وكثرة احتكاكه بأصحاب التجارب الناجحة هنا وهناك استفاد منها ووظّفها لخدمة دينه ومجتمعه ، فمن بداية القصيدة شعرنا بتسلسل وترابط لا مثيل له بين أبياتها ، فهناك ترابط للمواقف وتجاذب للمشاهد وتعاضد للصور الموحية، جزئية كانت أو كلية، إذ نجد ذواتنا مع استعداد تلقائي لمشاهدة عواقب الانفصام بين شخصية المبدع ودور الشاعر في المجتمع وتماهي أفراد المجتمع معه ومسايرته في إصلاح ما أفسد الدهر، فكانت نتيجة حتمية لمقدمات متسلسلة وفي أبيات قصيدة " الناي والرصيف " نراه ينقل لنا صورة أخرى :

أنا لـيس لي في الكـون غيـر الحـب والله

ومواســـم ســـود الـــرؤى ومـــرارة الآه

وجواري ما نويت القصر والاستبرق الزاهي
وجــواري الــزمن اللئــيم وســطوة الشــاه

أنا ما نويت سوى الرصيف وغفلة اللاهي. (يحياوي، الناي والرصيف، 1982، الصفحات 99-101)

من خلال هذه النفثات التي بثها الشاعر عبر أنفاسه المتواصلة والمتلاحقة عبّر فيها عن عقيدته في هذا الكون وهي الذوبان في ملكوت الله والتنحي عن كل الملذات التي تشغله عن رؤية الحقيقة وإنما رسالته في الحياة هي الدعوة إلى توحيد الله وترسيخ الفضيلة في ذوات أفراد المجتمع الجزائري، وهو زاهد فيما عند الناس ولايكترث بمتاع الدنيا وإنما هدفه وغايته مرضاة الله والدعوة إليه بالعلم لا بالعاطفة فقط ، فدوره كمبدع يتجلى في قدرته على توجيه الناس بصدق مشاعره معهم في كل ما يكتب، فقد أبان عن مذهبه في الحياة وطريقة عيشه في هذا الوجود وأنّ دوره إيجابيا في المجتمع، لا يقل أهمية عن دور باقي أطياف المجتمع ولا خير في إبداع يبعد الإنسان عن طريق ربه فلا حاجة له في النساء مهما تجمّلن وتعطّرن، وإشارته للرصيف تدل على معان عدة أولها أن هذا الرصيف هو للجميع للغلابى والكادحين لا للأغنياء والساسة، ليؤكد في أبياته بأنه إنسان بسيط ومتواضع يعيش مع باقي أفراد الشعب ولا يتميز عنهم إلا بماجادت به أنفاسه من شعر يهز النفوس، وفي أبيات أخرى نراه يصرح بحقيقته كإنسان عادي لا يميز ذاته كثري عن باقي أفراد مجتمعه:

أنــا لــيس لــي فــي الأرض أمــلاك وآثــار

خيـــل مســـــومة وغلمـــــان وأســـــوار

حـــرس علــى بــابي وخلــف البـــاب أبكـــار

أنا الذي ابن هذي الأرض لا " طبل " ولا " زار "
متهيئ للخـوف أن " عـدلوا " وأن " جـاروا "

ي هذه الأبيات يقر ويصرح مبدعنا بأنه إنسان عادي لا يملك عقارات ولم ينهب أموالا طائلة من خزينة الدولة وأموال الشعب ولم يكن يوما ما صاحب عقارات وثروة لا يمكن عدها ، ولم يتخذ له خدما ولا حشما ولاغلمانا يطوفون بين يديه، ولم يتخذ حرسا خوفا على ضياع ماله وأملاكه لأن ما امتلكه هو من كده وعرق جبينه ونتيجة تعبه الدؤوب في الحياة، فهو ابن الأرض الطاهرة التي تربي على أديمها وترعرع بين أحضانها وتنقل بين شعابها ووهادها، فهو نظيف منذ جاء إلى هذا الوجود لم تختلط يديه بالحرام ولو مرة وكأني به يقصف كل من يدعي نظافة اليد واللسان وهو غير ذلك، ويعيش الترقب من الحاضر والمستقبل وهو في وجل من غد مجهول لا يعرف نتائجه ولا مصيره المحتوم ، رغم أنه يتمنى في قرارات ذاته إشاعة العدل بين الناس وتحقيق العدالة الاجتماعية بين طبقات المجتمع ليهنأ الجميع ويستلذ قيمة العيش وبساطة الحياة، وفي أبيات أخرى يصرح بمايلي :

أنا ليس لي في الدرب غير الله والصبر
مجنونة ريحي الكعاب وغائم عمري
من ذروة المأساة يسفحني لظى الجمر
وعلى شفاهي يركض الماضي مع الشعر
يتسابقان مع الرياح ليحفرا قبــري

فهو يصرح بكل أريحية بأنه يحتمي بالله في كل حالاته فهو الملاذ وهو الأنيس في دنيا مضطربة وله من الصبر مايكفي ويُصدّرُ للآخر، فهو لا يستعجل الأمور وإنما مُتمسّك بما قسم الله له في هذه الحياة الدنيا من رزق ولا يلهث وراء متاع زائل ربما اكتسبه من غير حلال، فللشاعر رسالة اجتماعية وهي ضرورة تمسك الإنسان بالأشياء الباقية لا الزائلة، ولا يكون متلهفا على الكسب من غير روية ولا تمعن، فالواحد منا سيرحل يوما ما عن هذه الدنيا ولكن لا

ينبغي أن يكون رحيله فيه تأسفا، نتيجة عدم وضوح الرؤية عند صاحبها خاصة في معاشه ومعاملته للآخر، فهو يتمنى أن تكون رسالة الإنسان إيجابية في الحياة عشرة وتعاملا وكسبا وودا مع أفراد المجتمع، فالماضي هو جزء أساسي من حياة البشر ويجب على صاحبه أن يحافظ على نصاعته وعدم تشويهه بالأعمال الدنيئة والتي تحط من قيمة الإنسان كبشر له رسالة حضارية ينبغي عليه أن يؤديها في هذه الحياة الدنيا، فالشعر هو سجل لذاكرة الشعراء يسجلوا فيه يومياتهم ويتذكرونها عند لحظة المكاشفة مع الواقع، والإنسان مصيره محتوم وأجله مختوم لا يُؤخّرُهُ ولا يُقدّمُه لحظة فعليه باستغلاله في النفع والخير، وفي أبيات أخرى يعرض حياته صافية لا كُدرة فيها للمتلقي لينتقي منها ما ينفعه في الدنيا والآخرة إذ نراه يقول:

أنا ليس غير الذي أخنى وما داما
ريح على فيئ الزمان تضاجع اللاما
ورؤى تسافر في الفؤاد .. تنـــــزّ آلاما
أنا لست إلا شاعرا قـــــيما وأحلاما
أنا ليس لي غـــــير المنافي والمسافات
جـــــــسدي خرافي وروحي في المزادات
من فوق أقبية الظلام أضاءت مشكاتي
وأتيت أحلج ساخرا في غربة الآتـــي ..
ومواجدي العطشى تعيش تناقض الذات ...
أنا ليس غير الرصيف وكسرة البيت
وســـــــواهما فيئ وألوان من الموت
وسواهما قلب ورمح في يد السحت
وسواهما كسل الغبار وغربة الصمت
وسواهما الأشعار قد تأتي ولا تأتي ..

مازال مبدعنا يتدفق عبقا وشذى فواحا نتيجة خبرته في دروب الحياة الصعبة التي مر بها أثناء فترة الاستدمار الفرنسي ثم المعاناة بعد الاستقلال والتمييز الطبقي بين أفراد المجتمع كل هذه المتناقضات أفضت بالشاعر ليعبر عن مكبوتاته الداخلية ، وذلك بتفجير طاقاته الشعرية في رسم تلك الصور التي كان يحلم بها في صباه وفي فترة طفولته، وكان يتصور غدا ومستقبلا سعيدا لأبناء وطنه ولشعبه عموما ولكن ليس كل مايتمناه المرء يدركه، فالمُعوّقات كثيرة والعراقيل متنوعة ومتجددة عبر الأزمان وتتلون حسب الظروف والأوقات، فما عاد شاعرنا يتذكر صفاء الأيام والليالي السعيدة واللحظات البريئة التي عاشها في طفولته مع أترابه في البادية ونقاء جوها الصافي ، ولكن عوامل النحت الطبيعية تفعل فعلتها في ذات البشر وتتغير النفوس وتنفلت من عقال الأخلاق والمبادئ الأصيلة ويضعف البشر أمام ملذات الدنيا ، فهو يؤكد بأنه شاعر ينظم الكلمات فرحا وسعادة لأحداث سجلها مخياله في صغره ثم في طفولته ثم في باقي مراحل عمره القصير في دنيا الناس ، فقد خبر أصحاب المبادئ والمخلصين وأدرك حقيقة كثير من البشر وتلونهم كالحرباء حيثما كانت الغنيمة كانوا وقد عاهدوا خلانهم الشهداء الذين سقوا بدمائهم الزكية أديم هذه الأرض الطاهرة النقية ، لكنهم بدّلوا تبديلا وغيّروا تغييرا ولم يلتزموا بعهودهم ونكثوها ضعفا أمام مغريات الدنيا وبهرجها، فهو شاعر المنافي والترحال لا يعرف مكانا يستريح فيه نتيجة تقطُّع حبال الودّ والوصال مع أحبته، فكل واحد ذهب لحاله واتجه نحو مصيره يكابد المعاناة بما ملكت يمينه، لكن من حين لآخر تبرز من كوة ذاته شعاعات تنير دربه المظلم وتُذكّرهُ بالأيّام الخوالي التي كان العيش فيها رغيدا والحياة طيّبة والهناء موجودا ، لكنه يظل يتوسد أرصفة المدن مرتحلا إليها كلما سنحت له الفرصة لزيارة أماكن تمثل له ذكريات الماضي السحيق الذي عاشه كما اشتهاه واستلذه ووجد فيه راحته، فهو يظل يحن إلى خبز أمه وحليب أمه وقهوة أمه لأنها تمثل له البساطة وحياة الهدوء والسكينة والطمأنينة، وهذه المُنغّصات التي أتت بها الحضارة اليوم هي عامل هدم لا بناء لشخصية المبدع فقد كبّلت مواهبه وقلّصت من تحركاته ، وزمن ولادة القصيدة صار عسيرا ليس مثلما كان عليه الأمر من

قبل فكل شيئ فقد حلاوته ومذاقه ولم يبق على فطرته ، لأن قانون الحضارة الجديد قد داهمه وزعزع كيانه وغيّر مفكرته وربطها بالآخر، تنتهي القصة إذا وقد تناصر فيها الشكل مع المضمون وتشاكلت فيها الأداة مع المحتوى لينقل لنا تجربة حزينة تنم عن موقف نفسي إنساني نبيل يتميز به الشاعر ، فهو يملك القوة التي يقنع بها المتلقي الذواق ليقلع ويبتعد عن كل السلبيات فيجتهد لتجنبها وعدم الاقتراب منها، فنضمن سلامتنا من الأمراض النفسية المستعصية ونتكفل بحفظ مجتمعنا من كل داء، لقد وُفّق الشاعر في اختيار موضوع أبياته كما نجح في إيجاد معادل موضوعي لهذه التجربة الفنية والعواطف الصادقة نحو الكون والحياة والبشر ، فصاغ الفكرة مشوبة بعاطفة ذاتية صياغة موضوعية ساعد عليها استغلال بعض أدوات الفن القصصي، في الشعر كالسرد الذي ساهم في البناء الفني في القصيدة فلم يقتل الشعر ولم يطفئ جذوته بل احتفظ له بعفويته المدهشة، وانتقالاته النشطة في الذاكرة وغيبوبته في الوعي، وقدرته على التكثيف بل أكسبه إضافة إلى ذلك صفاء في الرؤية وانتظاما في التصور وقابلية للفهم والتمعن معا، وقد توافرت إلى جانب الأدوات القصصية لهذا الشعر القصصي أدوات التصوير والتخييل التي تجعل المجرد محسوسا والجامد من الأشياء حيّا، والعواطف المنطلقة مضبوطة والخيال المبدع خلاّقا، فصارت الصور الخارجية الواقعية أفكارا وقيما نبيلة، وصارت الأفكار الداخلية صورا ومشاهد موضوعية ، هي الفن كما ينبغي أن يكون نابعا من الإنسان من حيث هو إنسان ، ومتجها إلى الإنسان تخاطب فيه ما هو به كان إنسانا لا شيطانا رجيما ولا ملكا كريما، وعلى حد تعبير قدامة بن جعفر " إنّ الأديب الحق الذي ينظر إلى فضائل الناس من حيث هم ناس ، لا من طريق ما هم مشتركون فيه مع سائر الحيوان على ما عليه أهل الألباب من الاتفاق على ذلك ". (قدامة، د.ت، الصفحات 29-30)

كذلك نرى أنّ حسن استغلال الشاعر للطاقات اللغوية كان مفيدا في تشكيل الرؤية الأدبية، فهو ظاهرة جلية في شعره، ولنتأمل مثلا في المقطوعة التي درسناها، إذ نجده قد كرر لفظ " أنا ليس" ست مرات ليؤكد لنا بأنه لا حول ولا قوة له وأنه عبد ضعيف لا يمكنه تغيير

الحال إلى الأحسن، وقد وظّف مُبدعنا ألفاظا قرآنية لها دلالات عميقة مما يؤكد صلة الشاعر بدينه وتشبثه بقيمه الأخلاقية التي نشأ عليها في صغره ، وموسوعيته في الجانب الديني واطّلاعه الواسع على تفاسير القرآن الكريم فقد استخدم عبارات موحية وعميقة لتعضيد رأيه في حال البلد ومايدور فيها " الاستبرق، خيل مسومة، أبكار ، لظى، السحت ". وهو توظيف ربما كان نتيجة ملازمة الكاتب لأساليب القرآن الكريم ولا شك في أنّ الشاعر متشبع بقيم كتاب الله وهو حافظ لبعض آي القرآن الكريم ، فالشاعر باستخدامه هذا الكم من الألفاظ القرآنية في هذا الموضع قد أصاب جانبا من جوانب المشاكلة التي كثيرا ما يحدثها الشعراء المتمرسون بطبيعة اللغة كأداة للفن الأدبي، فتؤدي إلى جمال في التعبير وأثر حميد في النفوس، وتتجلى مقدرة الشاعر في استخدام التراكيب فهو يقدم ويؤخر حين يكون للتقديم أو التأخير فائدته المعنوية وجماله الفني وانظر في قوله " أنا ليس لي غير المنافي والمسافات ..." فهو يريد تبليغنا شيئا مهما وهو عدم استقراره في مكان ما نتيجة عدم تحقيق مشاريعه على أرض الواقع فهو يتحرى حدوث طفرة في حياته ليحقق أمنياته التي حلم بها يوما ما، كما كان حلم والده الشهيد أيام مقارعة الاستدمار الفرنسي الذي تمنى أن تستقل الجزائر وينعم شعبها الأبي بالحرية والعيش الرغيد والحياة الهانئة ، فكل عباراته لها مقصدية معينة لا يُدركُ كُنهها إلا من كابد أيام الارتحال والبعد عن الأهل والخلّان، وهي تحقق مقصدا نفسيا وقيمة بلاغية تحفزنا لاستقبال ما يأتي من معان جديدة ، كما تظهر قدرة الشاعر وبراعته الشاعرية في تنوع الأساليب البلاغية وقدرته على الانتقال من معنى إلى آخر بسلاسة وطلاقة لا مثيل لها ، فقد أجاد الشاعر في استعمال الدلالات الزمنية لا لتدل على زمن ما فقط، ولكن لتفيد معنى زائدا كالحركة والنشاط و التجدد، وهو ما يلاحظ في استغلاله للأفعال لما فيها من طاقات فعالة ، فضلا على دلالتها على الحركة والاستمرار وهما أمران يفيدان زيادة في المعنى العام للنص وثريانه، ذلك لأنّ البناء الصرفي يكون فعالا إذا كان مرتكزا على نشاط التركيب أو فاعلية السياق فهو حين يستغل استغلالا حسنا بكل طاقاته " يوجه المتلقي إلى تفهم النشاط اللغوي في اعتبارات بعيدة وراء

الصفات الموضوعية أو الدلالات الموجهة، ويعمل في إدراك مواقع المكونات الصرفية على الوجدان "، ومعنى ذلك أنّ تركيز الشاعر على بعض الأفعال يوحي لوجدان المتلقي بهذا الاستمرار والتجدد للأفعال في المتن الشعري ، لذا يمكن القول أن الشاعر في هذا النص قد أجاد استخدام الطاقات الصرفية للأفعال، كما أجاد في توظيف الدلالات المعجمية لبعض الألفاظ الموحية مثل " الحب، الله، الرؤى، اللاهي، خيل مسومة، أبكار، الصبر، لظى الجمر..." .

يقول عبد القاهر الجرجاني في الفرق بين الدلالة بالاسم والدلالة بالفعل "إنّ موضوع الاسم على أن يثبت به المعنى للشيء من غير أن يقتضي تجدده شيئا بعد شيء، وأما الفعل فموضوعه على أنه يقتضي تجدد المعنى المثبت به شيئا بعد شيء ". (الجرجاني، 1981، صفحة 133)

وفي موضع آخر يقول شاعرنا في ديوانه " مايراه القلب الحافي في زمن الأحذية:

أريد خاتما لأرميه في البحر وأشغل عمري بحثا عنه
أريد نافذة أحملها على ظهري وجدار يسند رمادي
أريد بابا حين أدخله أخرج من أضلاعي، وتتحدث الجدران عما رأته
أريد سلة، أجمع فيها النجوم وأغرس أصابعي بينها لتحرق باللذة
أريد سؤالا، يهتك عرض غرفتي الباردة كأسنان الموتى
أريد شفاها، ترفض أن تكون بابا للثعبان، ومعبرا للحقيقة
أريد امرأة ورجلا، حين يعبران الشارع يكون القضاة نياما
أريد يدا، تلمسني فيستيقظ الطفل النائم في صدري ويلعب مع قطتنا الصغيرة
أريد أزهارا، أذبحها فتملأ بيتي بالعطر وتذبل وهي تودعني
أريد حبا، يبدأ بالاعوجاج والصمت ويقسمني نصفين كما حبة التفاح
أريد وطنا، انقرض فيه الشيوخ وجذور البلوط لأمشي عاريا كالهواء
أريد بشرا، أقتلع عيونهم لأمارس مع طفلة الجيران لعبة الكويرات

أريد ورقة، لأخرقها وأكتب بالنمل حروف كلماتي.

(يحياوي، ما يراه القلب الحافي في زمن الأحذية، 2008، صفحة 83)

فالشاعر هنا كرر الفعل " أريد " للدلالة على تحقيق هدف كان قد خطط له ولكنه لم يدركه وفي كل مرة يرغب في تجسيده واقعيا حتى يريح ذاته من عنائها الذي استمر طويلا معه، فمرة يريد خاتما، وأخرى يريد نافذة ، وفي ثالثة يريد بابا، وطلبياته كثيرة بل قد تكون صعبة التحقيق ؛ فالخاتم إشارة لقيمة الأشياء التي امتلكها وفقدها في لحظة من الزمن الهارب، أما النافذة فهي إشارة لرغبته في تنفس هواء عليل منعش يبعث السكينة في أوصاله المتعبة بفعل عوامل الزمن وظلم ذوي القربى، وأما الباب فهو إشارة للخروج إلى أرض الله الواسعة لتحقيق مشاريعه وأهدافه التي سطرها وما حققها واقعيا، لقد تمنى الشاعر أمنيات كثيرة ولكنها غير ممكنة التحقيق على أرض الواقع ، فالفعل " أريد " تكرر واحدا وثلاثين مرة " 31" في ثنايا هذه القصيدة الديوان لما له من تأثير نفسي وذاتي على مبدعنا الفحل، كأنه أراد التحكم في لحظات الزمن ليرتب أموره بدقة لا متناهية، فقد ظل يبحث عن وطن مسلوب ومُعرّض لكل الضربات، وطن ضحّى من أجله رجالا مخلصين ونساء حرائر لكن الخلف ضيّع مابناه السلف، فقد تأسف شاعرنا على أحوالنا المتردية وما تحقق حلم الشهداء على الأرض التي سقوها بدمائهم الزكية، كانت رسالة شاعرنا ظاهرة لمن يريد قراءة معانيها ومبانيها وهي بمثابة نصائح أسداها لبني وطنه، ليحافظوا على الوطن مهما كانت الظروف و يدعوهم لتوحيد الصفوف ورصها حتى لا يضعفوا وتذهب ريحهم ويطمع فيهم وفي خيراتهم الآخر المتربص بهم بين الحين والآخر.

وفي مشهد شاعري آخر يبوح عياش يحياوي بأسرار طفولته ويُسر حياته البدوية مع أهله وخلانه وكان يتشوق لدراويش مدينته عين الخضراء وهو بالمنافي الاختيارية، فهؤلاء البسطاء هم معمار قصائده وهم مرتكز حديثه إذ يجد في ذلك نشوة ولذة لا نظير لها، ولعل من حسن أقدار هذا الشاعر الفحل أنه كتب في جداريته الفايسبوكية يوم 2 فبراير 2020 م مقطعا من قصيدته البكائية الحارة " ما أجهش به قيوم بن حبارة قبل أن يموت " إذ قال فيها:

أكون أنا .... لو أكون
وأصدقك الطعن لن يتأخر وهج الجنون
سأحمل في قربتي ماء سمك
ثم أصوب رأسي إلى صخرة
وأضج بكاف ... ونون
ألم بقاياك من أغنيات القفار
ومن جهشة الطفل قد قاتلوه
على غفلة كان ذلك ..
والوجه شكوى ذراع غريق
ومات أبوه
خديجة قولي لأمك إنّ الضيوف لدينا
إذا كان عندكم فلفل وطماطم أن تذكرونا
وياخجلي .. سوف أطلب بُنّا وفاكهة وصحونا
وفي آخر الليل بعض الغرف
وأشياء من نزوات الترف
وأرجوك أن نتزوج منكم لننجب بعض الصبايا وبعض
الهدايا وبعض التحف (يحياوي، ما يراه القلب الحافي في زمن الأحذية، 2008، صفحة 63)

النص قديم جدا كتبه عام 1991م لكن ما الذي ذكّره به وكتبه على صفحته الفايسبوكية؟ هل هي نبوءة شاعر أحسّ بدنو أجله؟ أم هي إشراقات متصوف؟ أم أمرا آخر؟ لقد شغفه هذا الدرويش عطفا وحنانا وشفقة وهو يمثل بالنسبة إليه معلما من معالم مدينته عين الخضراء ، وهو سر جمال ونضارة المدينة وبهاراتها الضرورية فشاعرنا عاش بدويا وظل يتذكر أبناء مدينته ومرابض صباه بكل التفاصيل ، وهذا يدل على أصالة وعمق جذور هذا الفحل وأن بقاءه خارج الوطن لم يُغيّر من قناعاته الذاتية ونظرته لقيمة الأشياء ، فهذا الدرويش عند عامة الناس بشر وانتهى لكن عند عياش هو كنز وكتاب لتاريخ المدينة، فقد

وصف لنا عادات وتقاليد بيئته البدوية الرائعة وتضامن الناس فيما بينهم حيث هذه الصورة اختفت أو كادت أن تختفي من عواصمنا ومدننا المتحضرة، فغياب الجانب الإنساني في المجتمع يُعرّضهُ لهزّات كثيرة لا أول لها ولا آخر، فقد رصد لنا الشاعر دقائق تفاصيل حياته في أكثر نصوصه الشعرية الطويلة التي غلب عليها طابع الدهشة والحضور والانفلات المجازي والدرامي، فتمتاز قصائده بعدم الثبات على معيار واحد بل هي مجموعة من اللامعيارية اللغوية والبلاغية التي ترتكز على المجانية وتشظي الدلالات الصاخبة والمسكونة بالوجع، إذ لم يكن عياش بعيدا عن صنعها فهو من الشعراء الحالمين الذين أصروا على تحقيق أحلامهم في وجود وطن آمن ومطمئن ينهض على يد أبنائه الخلصاء، لقد أعلنت الذات الشاعرة في القصيدة السابقة عن صورتها في أبهى وأشهى حُلّة ، فشاعرنا منحها صورة بريئة نقية صافية لا شية فيها ، صورة فطرية تشبه ذاته النظيفة الطاهرة فنصوصه الشعرية قيمتها في براءتها من اللوثة الحداثية النازحة علينا من أبواب شتى، لقد تخلى شاعرنا عن وجعه الفردي والذاتي الأحادي ليحدثنا عن أوجاع وطن بكامله فقد الكثير من أبنائه عبر حقب زمنية متواصلة، وكأنه كان يدرك رحيله العاجل في ظل رحيل هؤلاء الشباب .

إنها حياة بؤس وشقاء هي تلك التي تشكل الواقع النفسي للشاعر فتغمره غيظا وحزنا سرعان ما يتحول إلى توتر ينساب بعد ذلك على اللسان ليترتب في كل متكامل يشكل لغة شاعرية ترتيبا تنتظم فيه الألفاظ في النطق حسب انتظام معانيها في النفس، بنفس التوتر ونفس الحزن والغيظ والغم، إنّ الشاعر بهذه المهارة في التقنية اللغوية قد أنتج نصا يستوعب روح المسؤولية، ويصوغه في تراكيب شاعرية جميلة من حيث هي تركيب نحوي روعي فيه التقديم والتأخير ، ومن حيث هي طاقات صرفية وصوتية تحمل كم من الأفعال المنظم، ومن حيث هي صور شعرية تستهدف التخييل الهادف، إنّ الشاعر بهذه البراعة في الجمع بين "تقنية القصة "وتقنية " الشعر يحمل المتلقي على تتبع القصيدة وأحداثها ليعيش التجربة النفسية مع المبدع، حتى إذا ختم القراءة تركت فيه القصيدة أثرا نفسيا طيبا هو الأثر المطلوب، الذي

يمثل مقاصد الشاعر إنه يكره للمتلقي العادات السلبية ويشعره بمأساة أصحابها وشقائهم من جهة ، وشقاء المجتمع بنتائج أفعالهم من جهة أخرى، وبذلك يكون شاعرنا قد استطاع أن يفضح القبيح بأسلوب شائق وجميل، وذلك هو هدف التربية الجمالية التي تحقق ضربا من المشاركة الوجدانية الفعالة. إذ أنّ "التربية الجمالية هي بلا شك الوسيلة الناجحة والناجعة التي يتسنى لنا عن طريقها أن ننتقل من أخلاق جزئية محدودة إلى أخلاق عامة كلية. إذ تحيا نفوس الآخرين في أعماق ذواتنا إن المتلقي لقصيدة شاعرنا الفحل يلاحظ نقصا طفيفا في استخدام بعض الطاقات اللغوية. ذلك أن الباعث الذي يصدر عن العمل الأدبي هو الذي يسهم بشكل أساسي في عملية البناء الفني، بل إنّ أي استخدام للغة باعتبارها أداة الأديب في إبداع ما أبدع، لا يكون مشاكلا للباعث يؤدي كما يقول النقاد إلى نشاز في التعبير. منذ ديوانه الأول مرورا ببقية أعماله الإبداعية الأخرى لا يزال الشاعر والمبدع عياش يحياوي يدعو إلى القصيدة المتكاملة في جميع عناصرها ، ويظل الشعر عنده مفتوحا على نهر الزمن المتجدد. قال طه حسين رحمه الله عن الشاعر الطبيب ابراهيم ناجي : " إنه طبيب بين الشعراء وشاعر بين الأطباء " وأنا أقول في عياش يحياوي : " إنه فيلسوف بين الشعراء وشاعر بين الفلاسفة ". لقد تغيرت خريطة الدنيا فقامت دول وماتت أمم ، ولكن الشعر لا يتغير بتغير الزمان فكل شيء يتغير في الحياة ويبقى جوهر الشعر كما هو ومكانته كمنفذ للروح، وحديث إلى القلب لا يتغير. وهذا ما يجعلنا حتى اليوم على صلة وثيقة وعميقة مع الشعر الجاهلي رغم تقادم العهد به وبشعرائه. يبدو أنّ شاعرنا الفحل شاعر مكثر ولكنه متميز ونوعي فقد أخذت منه الدراسات الأكاديمية والالتزامات العلمية والبحثية الوقت الكثير ، وسرقت منه ساعات استلهام الشعر كما أنّ المنشور من شعره يثبت حقيقة كونه شاعرا وجدانيا لا يكتب الشعر إلا لدواع ذاتية ملحة. وأشجان تخنقه فيترجمها إلى سلسبيل عذب من الموسيقى الشاعرية. فلا تصدر قصائده إلا عن تجربة ذاتية أنضجتها الأيام ومكّنت له من اقتطاف صورها وتأملاتها ، وهو ليس شاعر مناسبات وشعره مختلف عما كان سائدا من شعر في زمن مضى، ولهذا تجنّب شعره التماهي مع

ما تفرضه المناسبة من خارج الوجدان، فجاء شعره صورة لنفسه وتعبيرا عن ذاته، وما يلفت الانتباه في شعر عياش يحياوي هذه الإنسيابية العذبة، وهذا الاصرار على الإيقاع الموسيقي، ولقد ظل شاعرنا وفيا لموسيقى الشعر حريصا على التمسك بالإيقاع وقد أسعفته موهبة وملكته العالية و مكّنته من الوصول إلى كتابة الشعر في أي شكل من أشكاله أراد، فعياش يحياوي صوت مختلف كتب القصيدة بطريقته، يمتلك حاسة شعرية عالية الجودة تجعله يفر من النمطية في الكتابة الشعرية حتى لوكانت نمطية من صنعه هو، يترك العنان للقصيدة لتكتب ذاتها بعيدا عن التحكم المباشر للوعي فضلا عن تحكم المنطق، يقتصد في كلماته لا عن فقر في قاموسه اللغوي ، وإنما خوفا من إطلاق العنان للتداعيات اللفظية التي صارت تشكل ظاهرة تفتك بالشعر في أشكاله الحديثة ، وتفضي إلى مصادرة الأجمل والأكثر تأثيرا في الشعر حتى القديم منه ، فالشعر هو ذلك التعبير القائم على التكثيف بكل مايوحي به من ثقة بالقارئ والاكتفاء بالإيحاء، أدهشني عياش يحياوي في ديوانه "مايراه القلب الحافي في زمن الأحذية "وقد أدهشني بما كتبه من أشعار، مؤكدا حضوره وتميزه وقليل في وطننا العربي هم الشعراء الذين يشبهون هذا الشاعر، وكيف استطاع أن يكتسب خصوصية في الكتابة الشعرية، مما يجعل الناقد المتابع لنتاجه الإبداعي يدرك أنّ أيّ نص له قد ينشر من دون توقيعه الشخصي عليه ودون تردد، فعياش يحياوي يدغدغ اللغة لتقول مايريد بعيدا عما تصالح عليه الشعراء الذين لم يصلوا إلى قاع همومهم والذين يتحاشون سبر أغوار النفس والاقتراب من أسرارها العادية والخالية من ادعاء البراءة والقداسة، من خلال ديوانه السابق تبدو لنا قصائده قد وصلت ذروة النضج والتكثيف حافلة بالمعنى المعمّق الذي يستوقف القارئ ليفكر ويتأمل لا أن تلهيه موسيقى القصيدة أو تداعيات اللغة، فمع عياش يحياوي يستعيد الشعر حريته وحيويته ورغم تنوع تجربته الشعرية إلا أنه يكره العبث في الإبداع، ويكره أن يكون بينه وبين المتلقي جدارا من الإبهام واللامعنى هكذا تقول نصوص ديوانه .

**4. سيميائية العنوان ودلالاته:**

"مايراه القلب الحافي في زمن الأحذية " عنوان يثير الدهشة في ذهن المتلقي النبيه كيف لا وقد ألبسه أبعادا ودلالات لا متناهية لا يدرك حقيقتها إلا من تمرّس وعرك فنون اللغة ، فنتمايل معه فرحا وسعادة في انسيابية ونتماهى مع الموسيقى المنبعثة من عمقها، نعم إنها غنائية فرح وحبور عبّر عنها مبدعنا بألفاظ موحية وعميقة، فالقصائد تستمد وجودها اللغوي من قاموس واحد لكنها تصبح مختلفة عندما يتناولها الشعراء الموهوبون والجادون، وهي تختلف من شاعر إلى آخر ومن نص إلى آخر، لأنّ الشعر هذا الكائن اللغوي المحمول على أجنحة الإشارة والرمز يمتلك شبكة من الطرقات والمسارات، تجعل الشاعر وهو يستلذ بسحر الكلمات، يعطيها من روحه ومن دم قلبه لكي تحمل دلالات أخرى تختلف أو تتضاد مع معناها القاموسي، ومع لغة الآخر واستخداماته لها، وهذا ما يجعل الشاعر ذاته يتساءل كيف وإلى أين سوف تمضي به الكلمات أو يمضي بها، فإذا كانت أهمية الفكر تأتي من كونه يثير لدى المتلقي الكثير من الأسئلة المتعلقة بمسار الإنسان والحياة ، فإنّ الشعر يمثل جوهر الفكر وذلك لأنّ الأسئلة التي يطرحها تحمل في جناحيها ما يدعو الإنسان إلى الانتباه والتركيز فيما حوله ، وإلى التأمل في كل ما يطرأ على الحياة من متغيرات بعضها يبعث على الطمأنينة وبعضها الآخر يبعث على القلق بالمعنى العميق والإنساني للكلمة ، ولأنّ إشكاليات الحياة تزداد مع مرور الزمن غموضا فإنّ الكتابة بشقيها الإبداعي والفكري تزداد كذلك غموضا والتباسا، وجاء الشعر مهما صفت لغته وتحررت من الإبهام ليفتح الباب على احتمالات ومفارقات شكلت مفهوم الشعرية قديما وجوهر الشعرية في العصر الحديث، والحقيقة أنّ الشاعر"عياش يحياوي "عاش مع نفسه ومع قارئه في حالة من الجدل الإبداعي ناتجة عن خبرة طويلة بالشعر وأنساقه الشكلية واللغوية والإيقاعية ، ولم تملأ هذه الخبرة نفسه بالغرور فيدّعي أن يبتكر قصيدة متفردة ومكتوبة بعيدة عن خطوات الأسلاف وتأثيرات الجذور ، إنه شاعر شديد التوازن يحمل بين جنبيه تواضع النهر الذي يجري دون أمواج صاهلة أو ضجيج صاخب ، وقد كان حريصا على أن يأتي إلى القصيدة أو أن تأتي إليه القصيدة سليمة معافاة من التدمير اللغوي والوزني؛ محافظة على مايرى أنّه هو التكوين

الجمالي الأمثل للشعر الرافض للتقليدية بكل منجزاتها المعمارية والفنية ، والرافض للقطيعة مع الجذور بكل مايغري به الرفض من تحدّ ومفارقة إبداعية، اشتمل ديوان " مايراه القلب الحافي في زمن الأحذية" على كثير من الألفاظ الجميلة والتي أراد الشاعر أن يرجع تداولها بين الناس ، وحبذا لو أنّ شواعر وشعراء النسخ واللصق ومستعملي الكلمات المتقاطعة أن ينهلوا من معين اللغة العربية عنده ، فالشاعر "عياش يحياوي " واحد من الذين طوّعوا المصطلح الشعري اعتبارا لتمرسه واشتغاله على اللغة ، وكيف لا وتخصصه أدبيا إبداعا ودراسة فقد نهل من معين الأدب العربي قديمه وحديثه، وتأثر به وتشبّع فكره من الموروث الثقافي والحضاري والتاريخي، ناهلا من كتاب الله موظفا آياته ومعانيه، ومن أجل تقريب صور الشاعر "عياش يحياوي " للمتلقي لا بد أن نركب قاربه لنمخر عباب موج بحوره الشعرية ، " فعياش يحياوي " شاعر حقيقي ملم بقواعد الشعر العربي ونظامه الإيقاعي، الذي نجده في ديوانه السابق الذكر وهو مستوعب للتغيرات ومجمل التطورات التي مست هذه البنية الإيقاعية وشكلها العروضي، لم أك سبّاقا للكتابة عن الشاعر " عياش يحياوي " وإنما تناول كتاباته عدد من الأكاديميين والباحثين والمهتمين بجمال حرفه وأعماله ، إنّ " ما يراه القلب الحافي في زمن الأحذية " ديوان ولد مكتملا وقصائده متألقة ومتأنقة ومنسجمة ، صدر عن ذات متشظية وعن وعي مدرك، ذات ترنو نحو تأثيث رؤى فكرية عميقة وتسبر أغوار اللحظة الشعرية وتجليات عوالمها المتوهجة، نصوص كشفت لنا عن شاعر متمكن من أدوات الكتابة الشعرية ، ومتشبع بمقومات القصيدة العربية في أبهى تجليات نماذجها الراقية ، وصاحب ذخيرة شعرية واسعة مكّنته وتُمكنّه من إحكام لجام القصيدة، وإذا مافرّت كمُهرة جامحة يُناديها فتطاوعه وتستجيب له، فهو صوت شعري جزائري رائد ذو بصمة جينية خاصة تملأت حياضه حروفا ومعاني فتدفّقت سيولا جارفة حرّى ملتهبة مُخلّقة وغير مُخلّقة تسير المخلّقة في الناس مسرى الأمثال، وتخضع الأخرى للهدم والبناء بصبر وتأنّ يعتصرها الشاعر تارة وتعتصره تارات ومرات قبل أن تستوي في خلق جدي.

"مايراه القلب الحافي في زمن الأحذية ": عنوان يمدنا بقدرة منهجية على تفكيك النص وقراءته ، فهو المفتاح الأهم بين مفاتيح الخطاب الشعري، وهو المحور الذي يحدد هوية الديوان وتدور حوله الدلالات في باقي القصائد وتتعالق به أنساق مختلفة ذلك لأن العنوان يؤدي دور المؤول الذي يخلق دلالة القصيدة، وإذا عدنا إلى العنوان " مايراه القلب الحافي في زمن الأحذية "وجدناه تكون من بنيات" مايراه، القلب، الحافي، في زمن، الأحذية " فالشاعر كان يرى بشغاف قلبه المكلوم ما تعرض له وطنه المسلوب وذاته الجريحة المثخنة بالجراح المادية والمعنوية زمن تحكُّم العسكر في رقاب الناس والجبروت المسلط على أبناء وطنه من أعداء الداخل والخارج. فالشاعر وضع للقلب عيونا وكأنه بشر ينظر ويترقب ما يحدث للوطن من هزات وضربات وهو يئنُّ ولا مغيث ولا مُخلّص له من الذين كبّلُوهُ بأغلال التخلف. فالشاعر يتألم داخليا وينزف دما على ما اطلع عليه من الأهوال المُحدقة بالوطن، وهو ينظر لوطنه يترنح بين المستهزئين والحاقدين عليه فقلبه كاد أن يتوقف لهول ما رأى وسمع، وتركيز الشاعر على القلب فيه دلالات عميقة وإشارات بليغة بضرورة الانتباه للخطر الذي سيُطوّقُ عُنق أرض الشهداء، ولهذا فإنّ الشاعر" عياش يحياوي " صانع ماهر حيث يصوغ عناوين قصائده من صميم الإحساس العميق بما يشعر به أو يخشى حدوثه ، ومن ثم تشكلت عناوين قصائده دررا ناصعة في بوحه الخالد" انخطافات الليلة الثالثة، صلاة إلى سماء امرأة، ناصيا، الشرفات، الصعلوك، احتراق على ذراع مهرة عراقية، احتمالات طفل في جثة كبيرة، الخروج إلى الغناء، القديس، الذاهب في الأزرق ، ما هجس به صبي القرى ، النمل والنسيان، عبور الجنازة ، مولويز ، انشطارات الذي عاش سهوا، شظايا الذي لم يقل للقراصنة مرحبا، ما أجهش به قيوم بن حبارة قبل أن يموت ، سأفضحهم بدمي وبكائي ، قفص الطابق الأخير ، لا وقت لي، مايراه القلب الحافي في زمن الأحذية ". قصائد تجسد الإحساس المتدفق الصادق لديه وتحرك كيان المتلقي كي يعيش معه ولادة تلك القصائد ويتذوق أريجها وشذاها، فتنويع عناوين دواوينه ونتاجه " تأمل في وجه الثورة، عاشق الأرض والسنبلة، قمر الشاي ، مايراه القلب الحافي في زمن الأحذية ، تباريح بدوي

متجول، لقبش ... الخ " كل هذه العناوين تؤكد انتمائية عياش يحياوي الوطني والتاريخي والثوري والديني ، وتكشف لنا في الوقت ذاته عن الآليات والأنساق التي يشتغل بموجبها النص وتتألف بها شعريته وجمالياته الفنية، اشتمل ديوان "مايراه القلب الحافي في زمن الأحذية" على كثير من القضايا الشعرية المختلفة التي اتجهت إليها عناية الشاعر وأصبحت تُشكّل قوام وهيكل ديوانه منها :

**1-4- الذاتية**

فإذا اقتربنا من جوهر الرؤية الشعرية في هذا الديوان وجدناها تجعل من الذات بؤرة انبثاقها تتمدد حولها وقد تداعب نوعا غامضا من الوجود قد يكون الانتماء للوطن أو غيره، وقد مارس الشاعر صناعة الرموز الشعرية بطريقته التعبيرية الخاصة فبعضها يقتصر على قصائد محددة ، لقد انفجر شوق متشح باللوعة خلف هذه الرسالة التي التهم سطورها وذابت في آهاته، ومن ثم يصرح في الأخير بأنّ الرسالة لا تعوضه هذا الشوق إلى الوطن الغالي وإلى أصحابه البررة، ولكنها تستطيع أن تقهره وتُعطّل فعله لغاية ما يعود إليه ويتحقق الأمل ، إنّ ثورة المشاعر ووحدة الاتجاه العاطفي، وبروز التوفق الشعري وأدوات التعبير ، كل ذلك أدّى إلى تنظيم وحدة إيقاعية شاملة كمظهر مهيمن على النص، وإنّ ذلك كله يؤكد اتصال عياش يحياوي بأقطاب الشعر العربي وخاصة سميح القاسم ومحمود درويش والبارودي ومحمد العيد آل خليفة هذا الأخير الذي كان يحفظ ديوانه عن ظهر قلب ومتأثرا به إلى أبعد الحدود.

**2-4- الوطنية :**

هكذا تتراجع الذات المفردة وتظهر صورة وجدان أخرى، ذات علاقة بالوطن لا باعتباره جزءا من نفسه بل هو كالذات والكل الذي يتجاوز الجميع في هذا الديوان، يتجلى في معظم القصائد مما يوحي ببعد انتمائي عميق تبدو صوره في كل ماله صلة بهذا الوطن حتى ولو كان ذلك في أصوات الفنانين، وتتبدى لنا شعرية الانتماء بوضوح في رموز كثيرة في معظم قصائده، فقد برهن على حبه لهذا الوطن والاعتزاز بالانتماء إلى رموزه التاريخية والتغني بها ، فلا شك أنّ

تجربة عياش يحياوي كما حملتها أعماله الشعرية تضيء عالما يمت بوشائج عميقة إلى عالم الرومانسية ، ولكنها ليست الرومانسية الحالمة؛ بل الرومانسية الثورية التي تحاول أن تغير الواقع بكل الوسائل المتاحة، فهنا الشاعر يلتفت إلى البطل الحقيقي وهو " الشعب " الذي لا يرضى بالخنوع والخضوع والذلة والاستكانة ، وكأني به يحرضه على التمرد وكسر قيود المهانة، والاحتقار والذل وعليه أن يدافع عن شرفه ببسالة وعزم وثبات، فهو يتحدى الأعداء الظلمة وينتصر عليهم بعزيمته القوية، وقد استحضر الشاعر الزمن الآتي من غيبة مع أنه لم يستخدم آلياته، ولكنّ المستقبل الذي سيحققه الشعب معلوم لدى الشاعر فهو يستحضر فعل النصر في أقرب وقت .

**4-3- القومية والإنسانية:**

إذا كانت النصوص السابقة لا تتجاوز حدود التجربة العاطفية الوطنية فإنّ هذا النص يتجاوز ذلك ويمتدّ ليعانق التجربة القومية والإنسانية، إنه يحاول أن يجمع بين التجربتين فيأخذ من العاطفة الوطنية محتواها ومن القومية والإنسانية مداها، وينفتح على مساحات واسعة من البشرية في شتى تجلياتها، وهذا مانجده في وعي الشاعر إذ أصبح يحوّل القضايا الخاصة والأحداث الجزئية إلى قضايا عامة وأحداث شاملة تهم الأمة العربية والإسلامية، فإذا كانت قصيدة " صلاة للحب والرفض " والتي يقول فيها:

اشـــتاق للرحلـــة الســـمراء تـــدنينا    وتغـــرس الحـــب فـــي مآقينـــا

وتنشـــر العطـــر فـــي أصـــداف غربتنـــا    فيزهـــر العطـــر في اللقيـــا بســـاتينا

غنيـــت الأمـــل المشـــنوق مـــن زمـــن    وكنـــت في قلعـــة الأوهـــام مســـجونا

ياغربـــة فـــي دهـــاليز الأســـى انغمســـت    ردحـــا، ومجـــزرة الأحـــلام تفضـــينا

جئنــــاك والألـــــم المصــــلوب ينثرنــــا ... قشــا زهيـدا، وكـف الـريح تـذرينا

اشـــتاق للرحلـــة الســـمراء مافتئـــت ... دنيـــا مضـــمخة بالســـحر تغرينـــا

دنيـــا تشـــتتنا الأيـــام .. تجمعنـــا ... وذكرهـــا فتنـــة تغـــري قوافينـــا

ســـيكبر الحلـــم المجنـــون فـــي دمنـــا ... في مقلـة الطفـل في مثـوى أعادينـا

ســـــيكبر الحلـــــم فـــــي آلام أمتنـــــا ... يخضـرّ، يشـرق في اللقيـا رياحينـا

لكـن سيشـدو الغـد الريّـان منتشـيا ... ويشـــرق الأمـــل اللـــوزي نســـرينا

ويســـتعيد أغـــاني المجـــد شـــاعرنا ... والســـنديان يصـــلي فـــي روابينـــا

ويرفـــع الشـــيخ نعليـــه .. وموقـــده ... وتســـتبين ضـــحى اللقيـــا مراســـينا

عروبـــة الـــدم والإســـلام يجمعنـــا ... روحـــين معتنقـــين الـــدهر آمينـــا

(يحياوي، قصيدة صلاة للحب والرفض، 1977، الصفحات 119-120)

لقد نسج قصيدته على إيقاع ابن زيدون وقصائده الخالدة ليبلغنا شدوه الجميل وبوحه اللامتناهي عبر معمار قصيدته الشجنية التي تقطر أسفا وحيرة على تردي الأمور في العالم العربي والإسلامي ، فإنه حذّر العالم العربي من الاستخفاف بعدوه الداخلي والخارجي، لقد بذل الوُسع والغالي من أجل أمته ووطنه ونصح وكان مخلصا في ذلك، فإذا لم نتخذ موقفا صارما وجادا منه ومن ألاعيبه فإنّ مصير شعوبنا يكون حالكا، فكل الطرق السلمية لم تنفع مع أعداء الوطن والدين ومابقي إلا استخدام السلاح للدفاع عن ذواتنا ، فالشاعر يتحمس لبث رسالة الشرفاء في هذا الواقع المتوتر المفعم بالمعاناة، ويستشرف المستقبل وينظر إلى نفسه على أنه صاحب رسالة ومسؤول عن التعبير الوجداني القومي والإنساني وهكذا يصبح كل خطاب شعري هو فعل ونشاط ومشاركة مهما كان حجمه، لذا فإنه يركز على التفاعل الجماعي الناجم عن العمل الأدبي والفني الذي ماهو إلا انتماء إلى مجموعة البشرية التي تفرزه ، وبالتالي فإنّ الفن والإبداع يعطيان وجها إنسانيا للمادة الفنية .

هذا هو الشاعر عياش يحياوي الذي تتنازعه أحاسيس مختلفة فطورا يبلغ به اليأس منتهاه ، وطورا يجنح إلى نظرة أكثر تفاؤلا فيرضى بما هو فيه ، ويُسلّمُ الأمر إلى خالقه سبحانه وتعالى ليأخذنا إلى عالم مفعم بالأمل ، ربما لم أوفّ الرجل حقه في هذه المداخلة ولم أنزله المنزلة الكبيرة التي تليق به، فشاعرنا مختلف عن باقي الشعراء والمبدعين ، دمثا في أخلاقه ساحرا في حديثه فنانا في شعره صافي السريرة نظيف القلب واليد واللسان فهو ملاك يمشي على الأرض، استطاع شاعرنا عياش يحياوي أن يرفع الشعر من الأعتاب إلى الآفاق، ولست أزعم أني في مداخاتي قلت كل مايجب أن يقال عنه، فحياته حافلة بالبذل والعطاء أعمق من أن يخطها قلم وأوسع من أن يحيط بها كلام ، شاعر يحمل هموم قومه وأمته ويتفاعل مع الحوادث ولذلك فشعره ليس شعرا مخنثا، بل هو شعر فحل يهز المشاعر ويذكي الخواطر وينير البصائر ، ولم يستعمل شعره للتملق أو للتسلق ، بل دافع به عن القيم النبيلة وذاد به عن الشيم الأصيلة ، في لغة قوية ولهجة صادقة ، فكذّب بذلك مقولة " أعذب الشعر أكذبه ".

والشاعر عياش يحياوي مجموعة من الأخلاق الفاضلة ، فبالرغم مما حققه من مجد معرفي وإبداعي ومانالة من شهرة واسعة فهو من أكثر الناس تواضعا ، لا يجد الزهو إلى نفسه سبيلا، وإذا تحدث كان كلامه أقرب إلى الهمس، فينزل على الآذان نزول الطل على الأفنان، و شيمته الصبر الإيجابي تصيبه ضائقة فلا يجزع وينال خيرا فلا يمنع، يتضرع إلى الخالق ولا يشكو إلى الخلق ، وقد أنساه هم أمته ضر بدنه، وشغلته محنة قومه عن آلام علته، وهو سمح كريم في معاملاته وفي علاقاته،

قال الشاعر قديما:

تُعيِّرُنا أنّا قليل عديدُنا فقلتُ لها : إنّ الكرام قليل

لقد أمضّني الحزن وكاد يفلقني الألم أنّنا نتنكر لعظمائنا ولا نقيم لهم وزنا أحياء وأمواتا، فعياش يحياوي علم في جيله بل واحد من أفذاذ الشعر والإبداع في هذا الوطن، لقد صاحب الشاعر عياش يحياوي الاستدمار الفرنسي طيلة وجوده على هذه الأرض الطيبة، فما استطاع له هضما ولم يعف له رسما، ولم يطمس له أثرا وظل كالقبلة المنصوبة في الشهرة لأبناء جيله، يرتوون من نبعه الصافي ويفيدون من شعره وعلمه الثّرّي وقديما قال الشاعر:

هيهات أن يجُود الزمان بمثله إنّ الزمان بمثله لبخيل

أملي أن أكون قد وفيت هذا الشاعر بعض مايستحق إبداعه من اهتمام وعناية وتوثيق، فمن خلال قراءتي لبعض نتاجه يمكن إعادة قراءة مرحلة تاريخية على لسان شاعر عبّر بصدق وإحساس مرهف، عن آلام وآمال شعبه بكل إخلاص وتفان، فعياش يحياوي خانه الصمت وسكت عنه الأدباء في قسوة غافلين إبداعه الحي وفنه الشاعري الرفيع، فقد كتبوا عن أناس وسموهم شعراء والواقع أنهم ليسوا من الشعر وليس الشعر منهم، ولكن هيهات أن تذكر الرداءة بفضل أو يكتب لها خلود، وبعض الربيع ببعض العطر يختصر، وحسبنا من القلادة ما أحاط بالجيد.

**خاتمة:**

بعد هذا التطواف والسياحة الفنية في جماليات القصيدة عند عياش يحياوي يمكن أن نقول بأنه غزير الإبداع الشعري الممتد لعقود طويلة، فقد تميز شعره بتعدد سماته الأسلوبية وجرأته في نقد الأوضاع السياسية وطرح المواضيع المثيرة للدهشة والجدل العلمي، فقد أثارت كتاباته النقدية والإبداعية جدلا واسعا بين النقاد والمثقفين وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على مكانته الإبداعية في المنظومة الشعرية وطنيا وعربيا ودوليا وقدرته ومنهجيته في الكتابة عموما ، فقد عُرف عنه الاطلاع الواسع والعميق للتراث الشعبي الجزائري والعربي وامتلاكه معرفة كبيرة ودراية كافية لموروثنا ، وله معرفة عابرة للقارات والثقافات الأخرى والأجناس الأدبية المتنوعة ، فقد وظف كل ذلك في تجربته الإبداعية وصار هذا التوظيف إحدى سمات شعره الرصين، وقد تبزغ روح التصوف بيضاء في نصوصه الماتعة على المستوى اللغوي والدلالي من خلال استرفاد أصوات أقطاب المتصوفة الكبار كابن عربي والسهروردي والنفري وغيرهم ، وذلك من خلال استدعائه لمفرداتهم وأحوالهم الداخلية العرفانية التي تمنح كل شيء للحبيب ، يُنتجُ النص الشعري لدى عياش يحياوي أساطيره وشخصياته المتضامنة والمختلطة المسكونة بالحياة أيضا ما بين صورة فرح وألم، لقد منحتنا مفردات نصوصه العميقة إشارات عدة لتحسر الشاعر على مآل أمته العربية ووطنه الجزائر ، سيظل عياش يحياوي رقما صعبا في معادلة الإبداع الجزائري والعربي لأنه يمثل صوت ابن الشهيد الذي لا يخبو مهما طغت الأقزام المتنطعة على الشعر والإبداع .

**مراجع**


1- اسحاق أبو الحسن بن وهب ، البرهان في وجوه البيان ، تقديم وتحقيق حفني محمد شرف ، مطبعة الرسالة ، عابدين ، مصر ، (د.ط) ، (د . ت) .

2- تازفيتان تودوروف ، الشعرية ، ترجمة محمد معتصم ، المركز الثقافي ، الرباط ، ط ، 2000 م.

3- جعفر بن قدامة، نقد الشعر ، تح ، محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الكتب العلمية، بيروت، دت.

4- رومان جاكبسون ، قضايا الشعرية، ترجمة محمد الولي ومبارك حنون، دار توبقال للنشر، المغرب، ط1، عام 1988.

5- سيد البحراوي، في البحث عن لؤلؤة المستحيل، سلسلة كتاب شرقيات رقم 20، دار شرقيات للنشر، القاهرة، ط1، 1996.

6- عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، تح ، محمد رضا ، دار المحروسة ، القاهرة ، 1981.

7- عبد الله الغذامي ، الخطيئة والتكفير، دار سعاد صباح، الكويت ، ط3 ، د،ت.

8- عياش يحياوي، الشاعر والناس، مجلة الثقافة، الجزائر، العدد 70، يوليو ، أوت 1982 م، س12 .

9- عياش يحياوي ، الناي والرصيف ، مجلة الثقافة ، الجزائر ، عدد 68 ، السنة الثانية عشر ، مارس ، أبريل ، 1982م .

10- عياش يحياوي، قصيدة صلاة للحب والرفض، مجلة الثقافة، العدد 39، السنة السابعة ، يونيو، يوليو، الجزائر، 1977 .

11- عياش يحياوي، مايراه القلب الحافي في زمن الأحذية ، ط2 ، أبو ظبي ، 2008 م، المجلس الأعلى للإعلام، مطبعة دار الفجر، الإمارات .

12- عياش يحياوي ، مايراه القلب الحافي في زمن الأحذية، ط2 ، مطبعة دار الفجر، أبوظبي، 2008م، المجلس الوطني للإعلام، الإمارات العربية .

13- فاضل ثامر، اللغة الثانية ، المركز الثقافي العربي ، بيروت، ط 1، 1994.